محمود عبد الصمد زكريا

بعد الستين

شـعـر

دائرة الثقافة - الشارقة 2021

مدخل

بعد الستين وما زالت خطواتي يا شِعرُ دؤوبهْ
أخلصتُ النيَّةَ لا أسعى لثواب أو أخشى عقوبهْ
أسعى في الفن بلا كللٍ أو مللٍ أرتادُ دروبهْ
أسعى لا أخشى من عيبٍ وأُرممُ للعيبِ عيوبهْ

هديلٌ أم هدير؟

ستظلُّ تهدلُ كالحمامِ
تنزُّ من ماءِ القصائدِ أغنياتُكَ
مثل تأنيب الضميرْ
وتضمُّ أجنحةَ البراءةِ
فوقَ زُغبٍ
في دُجى ليلٍ مطيرْ
؟!هل أنتَ طيرٌ لا يطيرْ
والريحُ تصرخُ بالكلام المستطيرْ
ستظلُّ يحزنُكَ التشدقُ بالهزائمِ
والتراشُق بالشتائمِ
فكرةُ الكيدِ التي أبداً تجور
ولا تُجيرْ
ستظلُّ تفضحُ كيدهم بالشعرِ
لا تطبق شفاهكَ يا أميرْ
الشِّعر بحرٌ
كامنٌ بين الحروفِ
وأنتَ للبحرِ الهديرْ

لغتي

أتحدثُ عن لغةٍ
أن تنطقَ أحرفَها أوتارُ الحلقْ
تتباهى في فتنتها
موسيقى النطقْ
تسري في روحِكَ كالرعشةِ
أو تتوهجُ
لتحيلَ كآبةَ نفسِكَ أنواراً
ويشقُّ الظلمةَ فيها ومضٌ
مثل وميض البرقْ
أو تتركُ فوقَ صحيفةِ روحِكَ
أثراً يبقى
كندوبِ الحرقْ
أتحدثُ عن لغةٍ
تعزفُ أنغاماً
تعشقها آذانُ الخلقْ
لغةٍ سيدةٍ
كامرأةٍ
يتجدَّدُ فيها ماءُ الطلقْ
لغةٌ حُبلى

بحروفٍ كسيوفٍ
ومعانٍ كحبالٍ الشنقْ
تتشابه في فتنتها
قافُ الرقِّ
بقافِ العشقْ
وقافُ الخرقِ
بقافِ الحقُّ
لكنّي حين أهدهدها
فهنالك فرقْ

الزائر

واضحٌ كالخيالْ
وليس له
في غموضِ السؤالْ
***

حين يأتي إليَّ
ويجلسُ جنبي
أشمُّ أريجَ القُرى
في فضاءِ المدينهْ
أُقدِّمُ قهوةَ روحي إليه
يُقدِّمُ لي قهوةً
من حليبِ السكينهْ
***

حين يأتي إلىَّ
ويجلسُ جنبي
تذوبُ حدودُ خيالي
أصيرُ أنا المبتدا والخبرْ
أصيرُ غِناءَ الشجرْ

على دندناتِ المطرْ
ولا فرقَ بين حروفِ الكلامِ
ولحنِ الوترْ
كأن التي لا تكُفُّ
عن الوسوساتِ
بدورقِ صدري
تصيرُ بدوحةِ روحي
مطرْ!!
***

هو الانفساحُ بغيرِ شطوطٍ
ودون جدارْ
وليس بقاموسِهِ أيُّ معنى
لهذا الغُبارْ
فلا تسألوه عن الإنهيارْ

يُرضيني لا يكفيني

من حُبِّ بلادي لي
أكلتني حيّاً
حتى لا تتركَ لترابِ الأرضِ الفرصةَ
كي يأكل لحمي ميتاً
هذا أمرٌ دونَ مراءٍ
يضحكني حتى يُبكيني
هل يُرضيني
أو يُجديني
لو مثلتْ كلُّ جوائزها بين يديَّ
لتسترضيني
وأنا أوشكُ أن أطرُقَ بابَ السبعينِ
ويقيني بالفنِ يقيني؟!
ما يعنيني
ألاَّ أُفتن في نفسي
أو وطني
أو ديني
لكن لا يعنيني
بعدَ الستينِ

أن أبدو كبدائيٍّ ، أو كجديدٍ
أن أبدو هشّاً أو رخواً أو صَلباً
أن أزهو أو أشكو
لكن ما يعنيني
أن أستجمع نفسي
في قبضةِ لغةٍ
أنفخُ فيها من روحي
فتصيرَ قصائدَ
وألوذُ إليها فَرِحاً
تمسكُ بعضاً مني
أو أُمسكُ بعضاً منها
ثم نوسِّعُ قلبينا
حتى يتطامن في كُلٍّ مِنَّا الفرحُ الخائفُ
فتجيءُ الأخطاءُ
لتجلسَ بين يدينا في أدبٍ جَمٍّ
تكشفُ عن كُلِّ نواياها
نتطهرُ
حينئذٍ
أصفو؛ وأشِفُّ
وأشعرُ أني مُكتمِلٌ
لا يعنيني أن أبدو كبدائيٍّ
أو أغدو (سوبرمانْ)

هو العُمرُ

هو العُمرُ في لحظةٍ
يستطيبُ الحياةَ
وأخرى يضيقُ بها
والمسافةُ ما بين حُبٍّ وضيقٍ
تروحُ وتغدو
تلوِّنُ دُنيايَ في الحالتين
وأغدو أيا سيدي
بينَ بينْ
وأدعوكَ: هبني رِضاكَ
وكُن لي جناحاً وعينْ
فقد أتعبتني المسافةُ
في اللحظتينْ

هويَّة

قرأتُ كثيراً
قرأتُ الهواءَ الذي يتحشرجُ
في حلقِ مَنْ يحبسونَ الغِناءْ
ويا ما كتبتُ
ويا ما محوتُ
ويا ما خرستُ
ويا ما شدوتُ
فحين تجيءُ أميرةُ قلبي
يطاولُ حرفي عنانَ السماءْ
وحين تغيبُ
يغيبُ الغِناءْ
أنا مَنْ رسمتُ الطيوفَ حروفاً
ورجعُ قصيدي
حريقٌ وماءْ

بعد الستين

(1)

بعد الستين أنا ناري
نارٌ لا تعبأُ بالحطبِ
بعد الستينِ أنا طفلٌ
طفلٌ لا يعبأُ باللعبِ
وأمُدُّ يدي صوبَ يديكم
كالمعنى غابَ ولم يغبِ!
وفريداً أشعرُ ما زلتُ
ودمي يخضَرُّ على هُدبي
أسرارُ الماءِ تراودني
وجموحُ الضدِّ الملتهبِ
بعد الستينَ أنا أملٌ
مذبوحٌ أو حِزمةُ ضوءٍ
خفتتْ في الليلِ المضطربِ
بعد الستينَ أقولُ لكم:
من يحفر في حِزمةِ ضوءٍ
أو ماءٍ
ليس كمن يحفر

في كُتلةِ حجرٍ أو خشبِ
والعبدُ يموتُ من الذُّلِ
في قيدٍ صيغ من السغبِ
والحُرُّ يموتُ من العجبِ
والدنيا بحرٌ مأهولٌ
والناسُ قواربُ من ورقٍ
وقواربُ أخرى من ذهبِ
والكلُّ يحدِّقُ في السُحبِ
فالروحُ تحِنُّ لخالقها
والطينُ يحِنُّ إلى العطبِ

(2)
أنا الإنسانُ
روحُ اللهِ في الفخارْ
غسلتُ العُمرَ في ماءٍ
كماءِ النارْ
وبي ألمٌ وبي ندمٌ
ليعصفَ بي كما الإعصارْ
بنفسي هذه المُختلةِ الأفكارْ
غسلتُ الطُهرَ بالأوزارْ
بكفي هذه الموصولةِ الأوتارْ

فضضت بكارةَ الأزهارْ
بطيشي الأحمقِ الثرثارْ
سحقتُ نقاوةَ الشطآنِ
والخلجانِ والأنهارْ
أنا الإنسان
روحُ اللهِ في الفخارْ
على ربواتِ تلك الأرضِ
جئتُ كجدولٍ من نارْ
وأنفاسي لهاثُ الريحِ
من رأسي إلى قدمي
يؤججني نزيفُ العارْ
ومنذُ خطيئتي الأولى
شراييني أنابيبٌ
أنا أستنسخ الأخطاءَ في بدني
وكلُّ الخلقِ خَطاءٌ
وهذي حِكمةُ الغفارْ

(3)

منذ بَدءِ الخلافةِ في الأرضِ
ليس سوى محنةٍ واحدهْ
هكذا سوف تُدركُ

أن الجهاتِ جميعاً
تجمَّعنَ في وجهةٍ واحدهْ
والمعاني التي عركتكَ وعاركتها
كلها عركةٌ واحدهْ
وأن الحياةَ حروفٌ مُبعثرةٌ
تتجمَّع في لفظةٍ واحدة: بائدهْ

(4)
محفوفاً بتجارب عُمري
أمشي مُحتشداً حيناً بالأنصارِ
وحيناً بالخذلانْ
تتقافز حولي جنياتُ الإنسِ
وبعضُ بكورٍ من غزلانْ
يجمعن الساقطَ من ياقوتِ العينِ
على صدرِ الأرضِ بقدرِ الإمكانْ
أمشي ويدايَ مئذنتانْ
ترصدني بعضُ شياطينِ الإنسِ
وتحرسني بعضُ ملائكة الرحمن
أمشي محفوفاً بالأفلاك
الفاسقُ منهمُ والنُسَّاكْ
يمدحني واحدُهم بموشحةٍ

مطلعها: مُضناكَ ضناكْ
تلميذك في وصفِ العُشَّاقْ
ويقولُ الآخرُ: لا ترحلْ
فهنا مأواك والكلُّ فِداكْ
رفقاً لا تسرع يا مولاي
فالكلُّ يهرولُ خلفَ خُطاكْ

(5)

مَنْ يعرفني
يعرفُ عني أني:
لا أملِكُ إلاَّ عُلبةَ تبغي
وسُعالي وحقيبةَ شِعري
يعرفُ أني لم يُدرج إسمي
في قائمةِ الحِزبِ ولم أتَّبع السُبلَ
ولم أتعلَّم قاموسَ اللغةِ اللبلابية
ـ لغةِ الطبقاتِ الحلزونيةِ
لم ينجح أحدٌ في قتلي أو سحلي
لم أُسجَن يوماً
لم أدخل مستشفى الأمراضِ النفسيةِ والعصبية
ليس لديَّ رصيدٌ من مالٍ، أو جاهٍ
لم أشهد زوراً لم أتقاضَ الرشوةَ

لم أظلم أبداً
لن أترك بعدي غير الحُبِّ
لهذا مَنْ يعرفني
يعرفُ أني سأموتُ قريرَ العينِ

(6)

ربَّما لم تعد لي سوى نقطةٍ
من الحِبرِ في سِن هذا القلمْ
هل ترى سوف أكتبُ في آخرِ السطرِ
أن دموعَ الضمائرِ
قد جففتها رياحُ الحروبِ؟!
ربَّما سوف أرسمُ طائرَ حُلمٍ جديدٍ
يُحلِّقُ عبرَ سماءٍ بدونِ جوازِ سفرْ!!
ربَّما سوف أرسمُ تلك السماء
بغير ارتطام الغيومِ
فكيف سأبدأ سطراً جديداً
بآخرِ نقطةِ حِبرٍ
بدون سقوط مطرْ؟!!
هكذا لم يعد لي إذنْ
سوى نقطةٍ من دماءِ السنينِ
وسطرٍ أخيرٍ من العُمرِ

فهل يا تُرى سوف أكتبُ:
لا تجزعوا
فالسماءُ التي أثقلتها غيومُ الدُّعاءِ
ستغسلُ أحزانَ كل الدماءِ!!
وأن العواصفَ
ليست سوى
بعض تنهيدةٍ لهواءٍ نظيفٍ!!
وأن البراكينَ
ليست سوى نفثاتِ القبورِ!!
وأن الزلازلَ
ليست سوى نهنهات الصخورِ!!
إذنْ نقطةٌ
ربَّما هي آخر ما في دماءِ القلمْ
على آخرِ السطر تغفو على سِرِّها
وبها ما بها
فهل يا تُرى سوف تكشفُ سِرّاً
تُخبئه في ثيابِ الحروفِ؟!
أم ترى ستموت، لتُعلِنَ:
أن الكلامَ انتهى؟

(7)

سأُلقي عليكمُ قولاً بسيطاً:
هي الأرضُ متسعٌ لحياةِ الجميعِ
وقبرٌ وسيعٌ لهمْ كلهمْ
صباح التفاؤلِ يا أيها البشرُ الهالكونَ
صباحٌ من التعبِ المخمليِّ النديِّ
لماذا توارونَ جمرَ المشاعرِ
والنارُ لا تخدعُ الأبرياءَ
لها شهوةٌ طاهرهْ
وأولى الخطايا إذنْ
لم تكنْ غيرُ تفاحةٍ
فكنْ عاشقاً والهاً
فقطْ لا تكُنْ مُستهلَّ الخياناتِ
للحُبِّ وجهٌ
وكلُّ وجوه الخياناتِ
ليست سوى أقنعهْ
فمن يُدعَ منكم لحفلِ الذئابِ
فلا بدَّ أن يصطحب
وجه كلبٍ مَعَهْ

(8)

أنا راحلٌ لفضاءٍ جديدٍ
وزادي صلاتي وقلبي
وقِربَةَ شِعري وحُبّي
وقنينةً من دموعٍ مُقطَّرةٍ
ودورقَ شوقٍ
أنا راحلٌ ويا ربَّما
سوف أخلع ما أرتديهِ من الإنسِ
ألبسُ نقطةَ ضوءٍ
وأرفعُ كفيَّ
لم أدر إن كنتُ أشكرُ
أم أعتذرْ

(9)
الذاكرةُ لها وجهانْ
وجهٌ كي نتماحَكَ فيهِ
ووجهٌ آخرُ للنسيانْ
لن يُجديني أن أتشبَّثَ بهما الآنْ
أن أستجدي مجداً كانْ
لن يُجديني أن أتضرَّع

كعصافيرِ الزينةِ للإنسانْ
أن أتباهى بالأعراسِ
لن يُجديني أيُّ عِنادْ
أن ألتمس يقيني في الأوغادْ
لن يُجديني
إلاَّ أن أتحوَّل شمساً للأولادْ
إلاَّ أن أتحوَّلَ حضناً للأحفادْ

(10)
لماذا تخاطبُ نفسَكَ
يا مَنْ ملكتَ زِمامَ الكلامْ؟
لماذا وأنتَ الذي قلتَ:
إنكَ فينا الإمامْ؟
أنا لا أُخاطبُ نفسي
أُخاطبُ هذا الرُّكامْ
وأُلقي عليه السلامْ

(11)
إنَّهُ راحلٌ إلى حيثُ لا حيثُ
فالسنواتُ اللواتي قضاهنّ
في ردهاتِ الحياةِ

تجمَّعن في دورقِ العُمرِ
ثم انسكبن
ولم يبق منهن إلاَّ صفيرُ الفراغِ
وبعض أنين العِظامْ
عميقٌ هو الجُرحُ بين السماءِ
وبين انكساراتِ أحلامكم
ونجمُ البطولاتِ يهوي
ولا شيء يؤويه
غيرُ تراب الوطنْ

(12)
قيلَ: يبدو مُصاباً بداءِ الشهامةِ
يحملُ أحلامَهُ المستحيلةَ
يبدو غريباً على الدربِ حيناً
ويبدو جريئاً مُضيئاً
وقلباً شديدَ البراءةِ
يمضي إلى هوّةٍ
ويا ربَّما ذروةٍ
ليس يدري
وقالوا: لهُ نكهةٌ
في غرامِ الغزالاتِ

يُلقي الحنانَ وشاحاً عليهن
يصطادُ أكبادهن
وقيلَ: بلا شاهدٍ أو دليلٍ
يخطُّ سِجلَّ البطولاتِ
تروي العصافيرُ عنه الحكاياتِ
قيلَ: يبدو مريضاً بأسماءِ مَنْ غادروا
يُردِّدُ: لا وقتَ للموتِ يا أصدقائي
اخلعوا موتكم والْبَسوني
ولا ترحلوا
احقنوني بشريانكم من جديدٍ
وشدّوا إليكم حبالَ دمائي
أنا ناركمْ
فاحملوني
وقيلَ وكم قيلَ
حتى غدا القولُ مثل السُّكاتْ
فماتْ

(13)
ذنبي -يا سادةُ- أني
أرفضُ أن أحيا كسريرٍ خاوٍ
في صحراءٍ شاسعةٍ

أتخبَّطُ فوقَ سفوحِ العُمرِ
بأحلامٍ عرجاءٍ أو شوهاءْ
أني أرفضُ أن أحيا
كضريحٍ مهجورٍ دونَ رِثاءْ
كلماتي واضحةٌ أعرفُ
لكن الواقع يتغابى
يتركني في القفر كقربانٍ
لبغاث القومِ وسائمة العصرِ
أُغني للعُمرِ الضائعِ
مفتوناً ببزوغِ الفجرِ
كعصفورٍ بجناحين سماوييْن
وأحلامٍ خضراءْ
أُشهرُ رايتها بوضوحٍ وعَناءْ
وبدونِ رياءْ
ذنبي أني مأسورٌ
كالحزنِ القابعِ في عينِ الفقراءْ
أني خبزٌ للجوعى
خمرٌ للعشاقِ وأنغامٌ للشعراءْ
أجمحُ كالثورِ الهائجِ
لا تخدعني الكلماتُ الجوفاءْ
أسعى كغزالٍ

تحتَ الشجرِ الغافي
والأغصان المشبوكةِ
وألملمُ قطع الذهبِ المرشوشةِ
فوق الأرضِ
وأنظمها عقداً من أضواءْ
ذنبي –يا سادةُ– أني أُعلنُ حُبِّي
وأُعبِّدُ كُلَ شوارعِ عشقي
وأمُدُّ حِبالاً من غَزَلٍ معسولٍ
لمليكةِ قلبي
أُطلقُ أنهاراً ونهاراً
وأحبُّ الغفوةَ فوق ثُوَيْجِ الزهرةِ
أستعذبُ إحساسي بدوارِ العشقِ
ذنبي أني لا أرفعُ قُبعتي
لغرابٍ ينفخُ في كيرِ الغضبِ
لا أغمضُ جفني
أو أستلقي في جُبِّ التعبِ
لا أستسلمُ لدخانِ النسيان أو الهذيانْ
لا يعنيني أن أحفرَ قبريْن لعصفوريْن
أو أبني نصباً تذكارياً للمجهولِ أو المعلومِ
أو أصنع فيلماً بالألوان لحربِ (الزومبي)
ذنبي –يا سادةُ– أني مبتدأٌ

كان وما زال
ويبدو سوف يظلُّ
دون خبرٍ

(14)
عشقي يقتلني يدفنني
ويهيلُ عليَّ غناءَ الوجَدِ ويتركني
وأنا فرحي نوْحي
شِعري صَرحي
أتجوَّلُ بين حواري حدسي
وشوارعِ رأسي
فمدينةُ حِسِّي
ساحاتٌ تتجوَّلُ فيها
أرواحُ ملائكةِ الحُبِّ
وتغني فوق أرائكها
رباتُ البوحِ
ذنبي –يا سادةُ– أني
قتلتني أُغنيتي

رؤى

اقتربَ الفجرُ
وتهيَّأ نَجمٌ
كي يسبحَ في بحرِ النومِ
ويغرق في بحرِ النسيانْ
***

أغمضُ عيني
ينفتحُ أمامي سِردابانْ
كيف سأعبرُ
وأنا لم أخلع ثوبَ البشرِ
ولم أتحوَّل نقطة ضوءٍ حتى الآنْ
والحِكمةُ ما زالت جالسة
بين خيوطِ الشيبِ
***

أفتحُ عيني
يتأكدُ لي أني
أحملُ وجهي

أن سنيني ما زالت تتراكمُ
في دورقِ عُمري
جسدي
مغسولٌ بالزمنِ السائلِ
تقولُ الحِكمةُ:
من لا يُبصرُ وجهَ الماضي
لن يُبصرَ وجهاً للآتي
***

أُغمضُ عيني
فإذا بي عصفورٌ
يتخبطُ في المطرِ النارفِ
يتشبث بحبالِ اللهِ
فلا تغويه شمسٌ زائغةُ النظراتِ
ولا يعنيه
أن يصرع كورونا أمريكا
والصينَ وروسيا واليابان
***

أفتح عيني
فإذا فوقَ القلبِ همومٌ نائحةٌ

فوقَ الرأسِ طيورٌ جارحةٌ
وأنا
قالَ الرواي: جَمَلٌ مجنونٌ
أوشكَ أن يبرُكَ
يرمقني مَلكانْ
يتقاذفني الموجُ بهذا الكونِ
وحولي في كل مكانْ
تتهاوى أبدانٌ
كقوارب خاوية نخرتها الفئرانْ
لكن حديثَ الراوي مهما كان
هو محضُ حديثٍ للإنسان
***

أغمضُ عيني
أرى الفرسان على صهواتِ السُّحِبِ
وقائدهم
يرمقهم بعمامتِهِ والثوب الأبيض
من جلسته فوقَ الدّكةِ
في رُكنِ الدُّكانْ
والفرسانُ على صهوات السُّحبِ دُخانْ
هل خانتني الرؤيا؟

أن ما زالت تتجاذبني
أوهامُ الخوفِ
وأحلامُ الصبيانْ؟
أم أني
خذلتني الحيلةُ
حين رفعتُ شِعار الضّدِّ
وأعلنتُ العصيانْ؟

الرؤية

الفوضى ترفعُ رايتَها
والحُريةُ مفعولٌ فيهِ لفعلٍ
فاعلُهُ مجنونٌ
ما زال يدور ويرقصُ
ويغني: إمَّا أن تقتل أو تُقتلْ!!
أنتَ قديمٌ جدّاً يا عبدَ الصمدِ
لماذا لا تُغمض عينيكَ على هذا التعبِ
وتغلق فمكَ على هذا الهبلِ وترحلْ؟!
خُذْ شكلَ أميرٍ أو مَلِكٍ
خُذْ شكلَ مَلاكٍ حتى
واترك هذا البحرَ الخائن
خُذْ نَفَساً ضوئياً
وتخلَّصْ من هذا القالب
اخرجْ من هذا القُمقمِ
هيا يا عبدَ الصمدِ
فأنتَ الآن جديدٌ جدّاً
في يدكَ اليمنى –أعرفُ– قيدَ السغبِ
وفي اليسرى قيدَ الخوفِ

تذكَّرْ مَنْ "أطعمهم من جوعٍ"
مَنْ "آمنهم من خوفٍ"
وتخلَّصْ من قيديكَ قُبيل طلوعِ الفجرِ
وسوفَ يسيلُ الهمُّ كما يتسربُ ماءٌ
من بين أصابعِ كفيكَ
وسوف تسافرُ في سِرِّ الضوءِ
وفي سِرِّ الماءْ
هذي أسرارٌ لا يعرفها
إلاَّ مَنْ علَّم آدم كُلَّ الأسماءْ

هي قريتي

هذي مقابرها
وهذي دورها
وهواؤها ذو نكهةٍ سحريةٍ
وسماؤها
ليست كمثل سماء أي مدينةٍ
فلها فضاءٌ شاسعٌ
ولها منازلُ للقمرْ
وأريجُ نعناعٍ
ومسرحُ للنظرْ
ذا نخلها العالي
وسِدرة دارنا
والبطُّ يلهو فوق منديلِ المياهِ
وديكُ جارتنا يصيحُ على الدجاجِ
وكلبُهُ يعوي عواءَ الذيب يقلقنا
فنعدو نطمئنُ على الغنمْ
ذا ليلها الساجي الذي يشفي الألمْ
هي قريتي
نامتْ على تغريدةِ الحسونِ، والكروانِ

واتشحتْ بحِكمةِ شاعرٍ
متورطٍ في العشقِ
أو شيخٍ تُحنكهُ التجاربُ، والشريعةُ
أو فتاةٍ مثل عنقودِ القطيفةِ
أو غلامٍ كالذهبْ
هذي مواويل الفتوةِ، والمروءةِ
تحت أعوادِ القصبْ
هي قريتي
ورثت جمالَ طبيعة الأشياءِ
والتاريخُ سَجَّلَ في دفاترِهِ العتيقةِ
أنها شمختْ كمئذنةٍ بوجهِ المارقين
وانتصرتْ لوجهِ الحقِ
رغم الفقر
في عصرِ الكذبْ

سأمضي مع الحلم حتى النهاية

وحين حلمت
رأيتُ كأن السماءَ ستخطب ودي
وأن الجميعَ سيحفظ عهدي
وأن الصحاب ستسأل عني
على طاولات المقاهي
وأن الفتاة
التي لم أذق طعمها
ستفتش كل زحامٍ
تقولُ: هنا – ربما –
قد أضاعَ أمانيهِ
خارت خطاه هنا
– ربما – أوهناكَ
رأيتُ كأن المسافةَ
ما بين أحلامنا والجنونِ
اضمحلت وذابت
رأيتُ كأن الجرائدَ؛ والشعراءَ
البلاد التي قايضتني
الهوى باللظى

والعروبةَ بالجينز
أن الحمامَ الذي كان يهدل
كل صباحٍ بنافذتي
والكتاب الذي كاد ينطق في الرفِّ
رأيتُ كأنَّ؛ وأنَّ؛ وأنَّ
ولكنني
سوف أرجع للحلمِ
أمضي مع الحلمِ حتى النهايهْ

أملُ الاستثناء

هل يعنيني بعدَ الستينَ
أني أجلس كي أستمعَ لسيمفونيةِ بعثٍ
من رجعِ أنينِ قصائديَ الأولى
أو لأشاهدَ صوراً تتحركُ في ذاكرةِ العُمرِ
لسيرةِ رجلٍ أدعوهُ: أنا؟!
هاهو ذا يأتيني بعباءتِهِ الغامضةِ
ويدعوني لمصيرٍ لا يعلمهُ كلانا
أسألهُ أو يسألني لا فرقَ
فلائي ما زالت مائدةُ حوارٍ
ليست من لاءات الرفضِ:
ماذا عن مستقبلِ ما سوفَ أُخلِّفهُ
من مسبوكاتٍ
ما زالتْ فتنتها تسري بين الناسِ
وما زالوا لم يكتشفوا سر براءتها بعدُ؟!
هل يشفع ما عانيتُ من الهمِّ
لكي أتركهُ بعدي؟!
ماذا يُجدي الآنَ؟
أما آنَ لكي نتهيأَ لملاقاة المجهولِ

الرابضِ خلف البابِ
وهل يعنيني بعدَ الستينَ
أني أبتاعُ قميصاً ورديّاً
من (كارفور) السادةِ
أو من سوقِ البالةِ
حتى أستكملَ مخزونَ المتعةِ
أو أُرضي إدمان المظهرِ؟!
بعد الستينَ أنا كونٌ
لا يدخلهُ إلايَ
ولا يدركهُ مَنْ هو مشغولٌ بسوايَ
فدعني لأرتبَ مسبوكاتي الشِّعريةَ
أستغني عن لوحاتٍ لعلاقاتٍ
لم يفهنَ طبيعةَ نزقي
فخرجنَ ولم يتركن
سوى بسماتٍ باهتةٍ
وأزيلُ غُباراً عن لوحاتٍ لعلاقاتٍ
كُنَّ كغُرفِ الإنعاشِ
بلحظاتِ هبوط القلبِ
فمثلاً:
هذي اللوحةُ
أعرفُ، شاركني فيها الشيطانُ

ببعضِ خطوطٍ وظلالٍ
كان ضروريّاً أن أسمح للشيطانِ بذلك
حتى أنجحَ في ترك الأثر المرجو منها
أمَّا الثالثة فظلتْ تتأرجحُ
بين الرغبةِ والخوفِ
ولا تكشفُ عن فضتها
حتى خاصمت المتعةَ
ولهذا لم يمسسها الشِّعرُ
دعني لأرتبَ مسبوكاتي
فأنا آملُ
أن يشملني اللهُ بهذا الاستثناءْ

أملُ الظِلِّ

حين دعتني امرأةٌ
ذاتُ جمالٍ، وثراءٍ
فلها تدويرةُ وجهٍ كالبدرِ
طليت شفتيها باللون الزهريِّ الشفافِ
وأتقنتْ الخبرةَ في البوحِ
بأسرارِ فواكه جنتها
حيث دنتْ، فتدلتْ
حتى هاءتْ لي مُتّكأً رخواً
وانبلجتْ بسمتُها كالضوءِ الأبيض
وهي تُقدِّمُ تفاحتَها
قلتُ: وهل يعنيني أن تدعوني
وأنا محفوفٌ بملائكةٍ
تأبى أن تتوغلَ قدمي
في وحلِ الفتنةِ
الآن أفوزُ بمقعدِ صدقٍ
في ظلِّ لا ظِلَّ سواهْ

دعوة

عُشبة وهمي
نهرُ الشعرِ
قصرُ القشِ
جثة حُلمي
حبُّ صحابي
ورضى أهلي
هذي كلُّ غنائمِ عُمري
أنا ذا أفرشُ ثوبَ العُمرِ
بين يدي رفقاءِ الدربِ
وأدعو وطني
أُجلس معهُ
في أعلى مصطبةِ العُمرِ
كي نتعاتبَ بين يديه
ينفض كلُّ مِنّا همّاً
يطرحُ غمّاً
أو نتبادل: مدحاً/ ذمّاً
أو نتصارح بمباذلنا
أو نتحاضن دون عراكٍ

يخلعُ كل مِنَّا وهماً
يبدأ حُلماً
كي نتسامى
يصبحُ كلٌّ مِنَّا أنقى
يصبح هذا الوطنُ
الجالسُ معنا
نَجما

يقيني

يعنيني أو لا يعنيني
لا بأسَ يقيني سيقيني
إن صهلتْ أحصنةُ الدهشةِ
فاضحةً لبقايا حنيني
عُشبٌ مبلولٌ يدعوني
بين الجبلينِ ليرويني
وبشهقةِ نهرٍ يسحبني
ويئنُ على رجعِ أنيني
في رعشةِ وعلٍ جبليٍّ
تسري بجميع شرايني
يغزوني اللهبُ المتدفقُ
يملؤني يُشعلُ تكويني
ويُفجِرُ بعضي في بعضي
وببئرِ النشوةِ يُلقيني
يفنيني ويُهيّئُ بعثي
ويُكابرُ يرفضُ تأبيني
يعنيني أو لا يعنيني
إن قلتُ: أنا أعشقُ عسلاً

يتقاطرُ من شفةِ التينِ
وأحِنُ لهدهدةِ الفوضى
بسريري بعدَ الستينِ

استدراك

مضى ما مضى
وتعرتْ خباياهُ بين يديه
ومن خلفهِ في انفساح الفضا
ولكنه ما انقضى
كانَ قطرةَ طَلٍّ وما زالَ
يسمعُ شهقتها في انسياحِ الندى
وانفساحِ المدى
يُميِّزُ أنَّتها بين شوكٍ وورد
ويُقسمُ أن لن تضيعَ سُدى
ولو سجَّروا فِتنةً
ولو حاربوا بَعثةً
ولو قتلوه ولو غيبوه
سيبقى يَرِنُّ بأسماعهم
مثلَ رجعِ الصدى
مضى ما مضى
ولكنه كان رعداً، ووعداً
وعُشّاً لزغبِ الطيورِ
أليفاً كضحكِ المياهِ

لطيفاً كنبعٍ
خفيفاً كضوءٍ
يرِفُّ على المنتدى بالهُدى
تمطّى كنهرٍ
وأخرجَ من جيبِهِ غيمةً
وحاربَ كلَّ صنوفِ الرّدى
تخطى غُبارَ الخلافِ
وصالحَ بين الذئابِ
وبين الخِرافِ
وكانَ –أيا سادتي– سيّدا
فهل سيظلُ –أيا سادتي– سيّداً
بالرضى؟!!

لا هو إلاَّهُ

هو ذا الحرفُ الشيخُ
المُعتلُّ التلُّ
المرفوضُ من الصرفِ
المدفوعُ إلى الزيفِ
يُقطِّعُ أوصالَ الرعشةِ
ويشدُّ رحيقَ طفولتِهِ
وعبيرَ صِباهُ
لا يدفعهُ ميزانُ العُمرِ
ليتوارى بجدارِ الخوفِ
ولا تستعلي يسراهُ على يمناهُ
ولا تستقوي يمناهُ على يسراهُ
ولا تترهبنُ في داخلِهِ رغبتُهُ
أو تخرج عن سطوتِهِ أو تتنكر لمراياهُ
ما هلَّلَ يوماً لبريقِ الوهمِ وما زكَّاهُ
ما زالَ تزومُ عواطفُهُ وعواصفُهُ
ويمدُّ ظِلالَ سجاياهُ
وعلى إيقاعِ الضوءِ
يداعبُ بلورات الروحِ

على إيقاعِ الماءِ
يلاعبُ لوتسةً من وحي رؤاهُ
مُتّزناً يفتحُ في الجدبِ عيوناً
مُندفعاً يجمحُ من هاناتِ اللغةِ
إلى أخماصِ الواقعِ
مهموماً بوصاياهُ
ويردِّدُ ملء مسامعِ هذا الكونِ
بألاَّ هو إلاَّهُ
وليس سواهُ

انكشافات

(1)

مائسةً تبدو في ظاهِرِها
لكن الميلَ عَصيٌّ
فاتنةً -لا شَكَّ –
وقد تبدو كبغيٌّ
لكن القلبَ نقيٌّ
ما جدوى أن أُشهِرَ نصلَ المتعةِ
وأُعَري غولَ الرغبةِ
وأنا أوقنُ لن تلتفتَ إليه
ولن تلتفتَ إليَّ؟!
ما جدوى أن أرميها بالسحرِ
وأعلمُ أن السحرَ سينقلبُ عليَّ
مَن علمها سِرَّ الولهِ
وأعطاها القدرةَ
كي تمسك حَبلَ الوجدِ السُّريَّ؟!
من أخبرها عني أني
مسكينٌ يسعى في ثوبِ شقيٍّ؟!
ما جدوى أن أمطرها بجنودِ شقائي

وأبابيلِ نقائي
تتمنعُ لا تدنو، أو تتدلى
وتظلُ بقمصانِ غوايتها تتجلى
وبكل عنائي تتسلى
وأظل أنا كمريد
يأتيها هرولةً في ثوبِ وليٌّ
وتروحُ وتغدو بين يديٌّ

(2)

وردةٌ دَلَّها دُلُّها
فازدهتْ وازدهى
طويلاً مكثتُ بأعتابِها
وكانتْ تُغلِّقُ أبوابَها
رمتني بلحظٍ تريدُ اصطيادي
فأدركت أني الذي صادها
وردةٌ ربَّما حانَ لي قطفُها
وصفرُ الورودِ انتهى وقتُها
حين همَّتْ بقلبي، وهمَّ بها
وعطرتُ نبضي بأنفاسِها
ربَّما هالني بعضُ ما هالَها
شدَّني –ربَّما– بعضُ ما شدَّها

فكنتُ لها شاهداً والِها
وقد هزني نفسُ ما هزَّها
وما همَّها غيرُ أني لها
وما همَّني في الورى غيرها

(3)

على شاطئٍ من خَضَارٍ
لبحرٍ من الحُمرةِ المُشتهاة
يفيقُ السُّبات ويبدأ صبحٌ
وتهربُ كل خيولِ الشتات

(4)

السرائرُ – يا سادتي –
صدفاتُ الغرائزِ
إن الغرائزَ في النفسِ مثلُ المحارْ
لا ليس كلُّ الغرائز من زبَدٍ
حيث من بعضِها ما ينفعُ الناسَ
يمكث في الأرضِ
سوفَ تظلُّ تطوفُ الذكورةُ
حولَ الخدورِ

تحُجُّ الأنوثةُ للنهرِ
تملأُ منه الجِرارَ
تظلُّ الحدائقُ مشغولةً بالطيورِ
الرياحُ اللواقحُ بالوردِ
لن تتنكَّرَ أُمٌّ لألوانها

(5)

وجعٌ
يتأبطهُ وجعٌ
يتغشاهُ وجعٌ أوسعْ
حُبٌّ كقناديلِ البحرِ
يُضيءُ، ويلسعْ
بين الخيطِ الأبيضِ
والخيطِ الأسودِ
يبزغُ نَجمٌ في الغورِ البلقعْ
ادفعْ
لن تأخذَ إلاَّ ما قد تدفعْ
لا يمكثُ في رحِمِ الصيرورةِ
إلاَّ ما ينفعْ

(6)

أشجارُ الحِكمةِ في جَنّةِ عُمري
مُثقلةٌ بالثمرِ الناضجِ، والطازجِ
هل تأخذُ زينَتها ريحٌ، وتهبُّ
لتحملها للناحيةِ الأخرى؟
ثمة شمسٌ عارية الأردافِ
تلوِّحُ عن بُعدٍ بثمارٍ
تتأوَّدُ، أو تتوقَّدُ
مُستنفرةً من تنورِ الرغبةِ
لا بأسَ إذا ما التقتْ الحِكمةُ
بالرغبةِ في حقلِ الرؤيا

(7)

كان يُحمِّصُ أحلامَهُ
ثم يدهنها بزيوتِ المحبةِ
كانتْ تُعطِّرُ أحلامَها
بأريجِ الزهورِ
وكان الندى يتلألأُ
قالَ لها: دثريني
فمالتْ عليه
احتوتهُ وغابا معاً

(8)

سألقي عليكمُ قولاً ثقيلا:
إنه الطائرُ البشريُّ الوحيدُ
الذي قالَ: إن الترابَ له شهوةٌ
والخطايا نوايا
ثم ألقى عصاهُ
فراحتْ ترتلُ في الناسِ من بعدِهِ
وتسبحُ في الخلقِ سبحاً طويلا

(9)

أكتبكِ لَكِ
فأُعري كُلَّ حدائقِ نفسكِ
من بين يديكِ، ومن خلفِكِ
ما أحمقني
وأنا أفضحكِ لَكِ!
كي أغسِلَ بقعاً وثآليلاً
عالقةً من شمسي
أو فضةَ مائي في ثوبِكِ
أو فوق قطيفةِ حسِّكِ
ما أغباني فعلاً لكنْ

كيف أُعيدُكِ من غيبتِكِ
إذا ما لم أكتبكِ لَكِ؟!

(10)

وكثيراً ما أشعرُ
أن بذاكرتي وجعٌ
لمخاضِ ولادهْ
أتمرَّغُ فوقَ حروفي
كامرأةٍ فاجاءها الطلقُ
أظل أعاني
حتى يتسرَّبَ من ذاكرتي
جيشٌ من نملٍ
يزحفُ فوقَ سطوري
يرفعُ راياتٍ
لم تُرفعْ من قبلُ

(11)

طيرٌ يتأرجحُ فوق بساطِ الريحِ
وضوءٌ يتعلَّقُ في ذيلِ الشمسِ
وشعثُ جبالٍ

ونخيلٌ يتفلَّتُ من أسرِ الموتِ
عِظامٌ تأخذُ زينتها
ونمارقُ لم تمسسها نارٌ
وبشاراتٌ
وزلازلُ
وغيومٌ
ونجومٌ تسعى
أبراجٌ من ياقوتٍ
وقِلاعٌ من مرجانٍ
خمرٌ، وموائدُ
تتزاحمُ داخل نفسي
جناتٌ معروشاتٌ
وجيوشُ صُداعٍ تغزو رأسي
يبدو أن حانتْ لحظةُ إمساكي
بالقلمِ الآن

(21)

الكلامُ الذي يستعيدُ استعاراتِهِ
وتقعي السمواتُ والأرضُ
طي استداراتِهِ
كلامٌ بِهِ ما بِهِ

والخلائقُ -كلُّ الخلائقِ-
محضُ اقتراحاتِهِ
والحياةُ تُخيِّمُ تحتَ انحناءاتِهِ
كلامٌ من الروحِ
والروحُ تصعدُ
تهبطُ
طوعَ إشاراتِهِ

(31)

خضني بالسؤالِ
وحين ارتديتُ قميصَ الخيالِ
نزعتُ قميصَ المُحالِ
فراحتْ غواياتُهُ ينكشفن
وبانَ ليَ السِّرُّ
هذا الذي تتغطى بِهِ ثيباتُ الرجالِ
ويوحلن ما بين حالٍ وحالِ

حِسُّ الأمانِ

أوكلما أجهشتُ بالقولِ
انتشيتُ بما يفيضُ الشِّعرُ
واسترجعتُ آمالاً، وأحلاماً
فمن أملٍ إلى حُلمٍ أطوفُ
وليس لي سقفٌ
ولا حَدٌّ
وأعلم أنني فرسُ الرهانْ
وأنا الذي ضدٌّ بريءٌ
قالَ: لا
لا لن أُسدد نسبةً
من قوتِ يومي مُرغماً
للأفعوانْ
قد كنت أحلمُ بالسيادةِ
والأمانْ
وأقولُ للقولِ انتصبْ
عشْ واقفاً مثل الألفْ
مُتْ واقفاً مثل الحصانْ
قد كنتُ أحلمُ

لا لأثبتَ أنني مَلَكٌ
ولكن كي يُفيقَ (الإنسوجانْ)
إنسٌ وجانْ
ولعلهم لا يبغيانْ
أوكلما أجهشتُ بالقولِ
استرحتُ
كأنَّما
شِعري يُعيدُ تشكلي
أرنو إلى لغتي التي
قد راودتْ أنغامَها
وكأنها
راحتْ تُرتبُ نبرها
وتعيدُ تسميةَ الأماكنِ والصحابِ
وكلُّ حرفٍ
قد توشَّحَ بالبهاءِ
وليس يحجُبهُ الدُّخانْ
لا لم تكن هوسَ الشبابِ
ولم أكن
أرنو لسطوةِ ماردٍ
أو هيلمانْ
لا أدعي مُلكاً ولا

لم أرج تاجاً -سيداتي سادتي-
أو صولجانْ
شِعري توشَّح بالكنايةِ
كُلُّ كلماتي غزالاتٌ
وينبعُ من فمي نهرُ الحليبِ
ولا يُحددني الزمانُ
أو المكانْ
قد كانَ في وِسعِ الكنايةِ
أن تبلورَ حاضراً
يستأنسُ الزلزالَ
أو ليروضَ البركانَ
كانَ وياما كانْ
قد كانَ
تتسعُ الكنايةُ
كي تأوِّلَ كُلَّ ما قالتْ رؤايَ
وكي تُفسِّرَ
كُلَّ ما حجبَ الضبابُ من البيانْ
والآنَ يبدو
أن تعبتُ من الوثوقِ بفتنتي
وتعبتُ من كوني أقولُ
ولم أقُلْ

الآنَ أركنُ للسكوتِ
ألوذُ بالصمتِ الجبانْ
الآنَ أعرف أنني
يا ما خُدعتُ
وأنها هي قوةٌ للمالِ
حقٌ للقويِّ
وينتفي في عُرفِها المعنى
داين تُدانْ
ويموتُ في أغراضها
حِسُّ الأمانْ

رؤية

ولماذا بعضُ الشعراءِ سماسرةٌ
تتسمسرُ إذ تتسامرُ أو تتقامرُ
أو تتقارعُ بالخُطبِ الموزونةِ
وتُطنطِنُ بقوافيها كخيولٍ
ترقصُ في حفلِ زفافْ؟!
ولماذا بعضُ الشِّعرِ
حبوبٌ للتخديرِ أو التكديرِ
أو التنكيرِ أو الإجحافْ؟!
ولماذا بعضُ الشعراءِ كحاناتٍ
يخلعُ فيها القاموسُ الغربيُّ
ثيابَ العِفَّةِ
ويؤدي رقصةَ عُريٍ
وكأن العالمَ
محضُ نعاجٍ، وخِرافْ؟!
ولماذا بعضُ الشعراءِ
كريحِ الشوكِ
وبعضهُمُ كفحيحِ الجمرِ
وبعضهم كبغاثِ الطيرِ

وبعضهم أجلافْ
ولماذا أُمسكُ بالقلمِ
فكأني أنزعُ جِلدي
وأُقشِّرُ عظمي
تخرجُ كلماتي مِني كرصاصٍ
وتُخلِّفُ بعضَ ثقوبٍ في لحمي
أحياناً أشعرُ أني
أعصرُ تفاحةَ قلبي
وضلوعي عارية تمشي
أحياناً أفرشُ نبضي
كملاءة نارٍ فوق سريرِ السُّلطةِ
أقذفُ من شفتيَّ صواعقَ
وأُصارعُ قيدي
ولماذا في القرنِ الواحدِ والعشرينِ
ما زلتُ أرى في الناسِ
عبيداً للعُزةِ وعبيداً لمناةٍ
وعبيداً لمنافْ؟!

فضفضة

أتذكرُ في السبعيناتِ
وحتى التسعيناتِ
كُنَّا نجلسُ في مقهى (السيد متولي)
فوق رصيف محطةِ (باكوس)
حيث تمرُّ (ترامُ الرملِ)
كنتُ أُحبُّ قراءةَ أشعار الستيناتِ
وكان صديقي يجلسُ جنبي
مندهشاً بأدائي الصوتيِّ
يتفرَّسُ فيَ
يراني؛ كسحابةِ صيفٍ حيناً
أحياناً؛ كهمومِ مدينهْ
وأراهُ؛ حين يُرددُ أبيات المتنبي
وقصائدَ طَرَفة
كالبدويِّ الراحلِ
مُتّشِحاً بالصوفِ؛ أو الجوخِ
وفي عينيه صحراءٌ شاسعةٌ
***

المقهى في الداخلِ هادئةً
تسمح لي بقراءةِ قصص "تشيخوف"
وأشعار ابن الرومي؛ والحلاج
ومثيولوجيا الإغريق أو الرومان
إلى آخره
***

في الخارجِ حيت تمرُّ (ترامُ الرملِ)
فثمة أسواقٌ؛ وبساتين
وشابٌ يتغزَّلُ في جسدِ امرأةِ عابرةٍ
أو طفلٌ يصرخُ
وفتاةٌ كالبدرِ الحالمِ
تتهادى في مشيتها الرومانسية
وامرأةٌ كالشمس المستعرةِ
حين تمرُّ تؤلبُ روادَ المقهى
وتثيرُ زوابعَ من تعليقاتٍ
كُنَّا نتحدَّثُ عن غزواتٍ ؛ أو نزواتٍ
أو ذكرى خلوتنا ذات مساءٍ
بامرأةٍ ولهى
***

الآنَ أنا وصديقي نجلسُ كالعادةِ
لكن حين تمرُّ (ترامُ الرملِ)
أراها كاليمِّ مليئا بالسفنِ الغرقى
لا أتحدَّثُ إلاَّ في الفلسفةِ
وفي الفقهِ
وأقترحُ رحيلاً أفضلَ للروحْ

رؤى غائمة

في ملعبِ الخيالِ عادةً
أهيمُ شارداً
أُدخِّنُ الرجاءَ
ربَّما تمرُّ بهجةٌ
بخاطري مُعطَّرهْ
أو ربَّما قصيدةٌ شريدةٌ
حروفها مُنوَّرهْ
أو رافدٌ من نيلنا
مياهُهُ مُقطَّرَهْ
فلا أرى سوى
حضارةٍ طينيةٍ قديمةٍ
قبائلٍ؛ تهيمُ في مفارقٍ مُبعثرهْ
أوانسٍ؛ يبطشن بالعشاقِ
أو يعبثن بالمفاتنِ المُطهرهْ
أقولُ صادقاً
أنا في أزمةٍ مُجنَّحهْ
أقودُ أزمةً مُسلَّحهْ
ولا أرى في الناسِ إلاَّ ضجْرَةً

مُحاطةً بالرغبةِ المُعطَّلهْ
موظفين عائدين بالمرتبِ الضئيلِ
فلاحين في الضُّحى
يطارودن ثعلباً
شواطئاً مُسوَّرهْ
كأنها غمامةٌ على عيون بحرنا
والكلُّ أنكرهْ
أقولُ صادقاً
أنا الغريقُ– صاحبي –
في ليلةٍ رعديةِ مُغبَّرَهْ

حديث ليس خصوصيّاً جدّاً

يوجعني أن أتحدَّثَ عني
لكني أتخيَّلُ أني
مسكونٌ بالقلقِ الناضجِ
والشجنِ الطازجِ
أحملُ كُلَّ همومِ الطقسْ
في كهفِ الرأسْ
وكياني منغومٌ
أو ملغومٌ
وجدائلُ شِعري
أو فِكري
تنتظرُ الغرسْ
يوجعني حقّاً
أن أتحدَّث عن نفسي
لكني؛ أتخيَّلُ أن قالوا عني: إني
عفريتٌ مسكونٌ بالشهوةِ والقهوةِ
أتراقصُ فوقَ جِراحِ العصرِ
وشيخٌ؛ يتعكَّزُ قاموسَ الضّدِّ
يُعرّي جسدَ القهرِ

ويفتحُ نافذةً للفجرِ
وزوبعةٌ؛ تتلاطمُ في داخِلها
صرخاتُ الطلقْ
وصاعقةٌ
لكن ليستْ للبرقْ
هنالك فرقْ
يوجعني فعلاً ياخِلِّي
أن أتحدَّثَ عني
صدقني أتخيَّلُ أني
طفلٌ ملغومٌ بالحُبِّْ
سؤالٌ؛ مرسومٌ في هيئةِ قلبْ
وحرفُ يمشي كالنهرْ
ويعشقهُ النغمُ البِكرْ
صدى
ومدى
لكن؛ ليس يضيعُ سُدى
وسيخرجُ بالممكنِ
من ضيقِ المابين
ويعرف؛ من أينَ لأين

للرؤى

للرؤى حين تكسرُ قافَ القيودِ
براحٌ فسيحٌ
بِهِ ما بِهِ من عطورِ الثمارِ
انفلاتٌ
بوسعِ النهار
ربيعٌ بديعٌ
شتاءٌ؛ وصيفْ
وللرأيِّ حُكمٌ؛ وسيفْ
فما الرأيُ إلاَّ حصانٌ أصيلٌ
إذا مالَ نحو حنانِ الضفافِ
أو انهارَ بين فيافي الجفافِ
سيشطحُ
أو يعتريه مع الخوفِ ضعفْ
مع الضعفِ خوفْ

لا شأنَ لَك

هذا المساءُ باردٌ مُلثَّمٌ
كثعلبٍ يجولُ باحثاً بأنفِهِ
عن القصيدةِ التي تركتُها
على موائدِ الصحابِ
والقصيدةِ التي نسيتها
على موائدِ النساءِ
والقصائد التي ما زلن
يختبئن في شقوقِ مُهجتي
هذا المساءُ غامضٌ لعله قد جاءَ
من ظنونِ بعضِ نسوةٍ
وربَّما؛ من حيرتي
ووحدتي
لكي يطوفَ حول عُزلتي
مُراقباً أحلاميَ المُؤجلهْ
لا بأسَ
سوف أدخلُ المدائنَ المُبجَّلهْ
مدائنَ العطورِ؛ والحريرِ؛ والنساءِ
تلكمُ المدائنُ التي بداخلي مُسوَّرهْ

وسوفَ تبقى خارجي
يا أيها المساءْ
تجول في العراءْ

المقاماتُ لا تعرفُ الغيب

المقاماتُ لا تعرف الغيبَ
لا يتعالى بها غيرُ صوت المريدينَ
لا يتجلى بها غيرُ هذا التمسُّحِ بالأرضِ
أو بالستائرِ؛ والأعمدهْ
المريدونَ يدورونَ
ليس سوى شبحٍ من خيالٍ
وأصواتِ نهنهةٍ
ودموعٍ مُعلَّبةٍ في العيونِ
تسيلُ؛ فيرتاحُ أصحابُها
المقاماتُ صامتةٌ
وأكفُّ الضراعةِ تعلو
وثم تعودُ لتمسحَ أعضاءَ أصحابها في حنانٍ
وهمسُ الوداعةِ مثلُ الرذاذِ
يُخيِّمُ فوقَ العقولِ
وفوقَ القلوبِ
فيغسِلُ أدرانَها
قالَ لي صاحبي: أنا في انتظارِكَ
سوف تجيءُ

فكلُّ المسافةِ بيني وبينكَ
سوءةُ كِبرٍ
وجوعٌ قديمٌ
ورشحُ خشوعْ
ألا تذرفُ الآنَ بعضَ الدموعْ؟
فقلتُ: وماذا لديكَ؟
فقالَ: انتبهْ
واتَّبعني
فقلتُ: إلى أينَ؟
قالَ: الجوابُ ثقيلٌ على نفسِكَ الآن
سِرْ في هدوءٍ؛ وصمتٍ
فقلتُ : أنمضي إلى الغيبِ يا صاحبي؟
لم يُجبْ
وأشارَ بحزمٍ
وقالَ: تخيَّرتني
أنتَ أنتَ تخيَّرتني
فأتيتُ إليكَ
وسوفَ تجيءُ
أنا في انتظارِكَ
سوفَ تجيءُ
وثم مضى؛ واختفى!!

الشواهد

(1)

إنها الورطة الأزلية
أن نصعد سُلّمَ الموت
إلى ردهة الأبدية
هكذا
سوف ينحسر الظِّلُّ
في أطلس العمر
إلى نقطة
على هامش الأبجدية
هكذا
سوف يمتدّ
يوغِلُ
ينساحُ
في بؤبؤ العدميّة

(2)

وحينما تفتحتْ نوافذُ السماء
رتّلتْ حناجرُ الغيوب

فاصلاً من الدعاء
فاستجاب طائرُ العُنق
وانسلّ من شرانق الإلزام
وانعتق
مودعاً محطة الرحيل
صوبَ سِدرة اللقاء

(3)

الهدهدُ الجميلُ فوقَ لوحة الحياة
ستختفي ألوانهُ في كبوة الفرشاة
الهدهدُ الجميلُ صار أبيضا
كأنما لم يعرف الألوان
وصارَ باردا
كهمسة العطور فوقَ لمسة الزجاج
صار كالرخام

(4)

سحلته خيولُ العمر إلى الستينَ
فرنا مذهولا
ينفض عن كاهله أتربة الأيام

فإذا بالدنيا محض كلامْ
والصمت إمام
قد تبهت صورتُه
قد تتلاشى
لكن الحلمَ يظل مضيئاً
لا تطفئه الأعوام

(5)

هاهنا يكمن العمرُ
في عُلبة من تراب قديم
يسمونه القبرَ
لكنه طاهرٌ؛ وشريفٌ
وعمّا قريب
ستخرج منه حياة جديدهْ

(6)

ترحل القصيدة
فتدخل من فورها قصيدة جديدة
وأنا بينهما
أتأمل في ستين قصيدهْ

(7)

مدينتي
في آخر الخرافهْ
مدهونة
بالشك في المسافهْ
تحملني إلى أبراجها
رياحُ الشِعر
والثقافهْ

(8)
قالت النخلة يوماً:
جاءت الريحُ
فملت
ثم مرّتْ
فاستقمتُ
هكذا النخلة يوماً
علمتني ما جهلتُ

(9)
وهكذا
أصير مثلما صار أبي
كقشرة فارغة تهشها الرياحُ

بينما الثمارُ قد مضت
لغاية معاكسهْ
لا تعجبوا من موقفي
البذلُ كان غايتي
والبذلُ
ليس كارثهْ

(10)

إنها بكرُ
وعيناها سؤالْ
والجَمال
ظن أن لن تنتهي منه الرجال
إنها تكنز المشمش في شفتيها
والذي يختال في سحر عليها
كله سحرٌ حلال

(11)

قالوا: مَنْ عازَ فقد لاذَ
مَنْ أوعز هذا الإيعازَ؟
إن جازَ فقد أنجز هذا

في ذل العزّة إنجازا
لكن ماذا
لو حازَ المجرمُ ما حازا
واستكبر في الأرض؛ وفازا
أتفيد إذا؛ ولذا؛ وكذا
العائذ لا يقوى أبدا
أن يسأل معطيه: لماذا

(21)

الدنيا أخذت زينتها
وقالتْ: هيتَ لكْ
كلُّ من زارَ هلك

المحتويات

مدخل.....2

هديلٌ أم هدير؟.....3

لغتي.....4

الزائر.....6

يُرضيني لا يكفيني.....8

هو العُمرُ.....10

هويَّة.....11

بعد الستين.....12

رؤى.....27

الرؤية.....31

هي قريتي.....13

سأمضي مع الحلم حتى النهاية.....35

أملُ الاستثناء.....37

أملُ الظِلِّ.....40

دعوة.....41

يقيني.....43
استدراك.....45
لا هو إلاَّهُ.....47
انكشافات.....49
حِسُّ الأمانِ.....58
رؤية.....62
فضفضة.....64
رؤى غائمة.....67
حديث ليس خصوصيّاً جدّاً.....69
للرؤى.....71
لا شأنَ لَك.....72
المقاماتُ لا تعرفُ الغيب.....74
الشواهد.....76